ISSN: 2090 – 0449 Online
Universal Impact Factor (UIF), 2015.
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

مفهوم الزمن في المدارس التاريخية الحديثة
مدرسة الحوليات نموذجًا

د. منير روكي
دكتوراه في التاريخ الحديث
جامعة الحسن الثاني (المحمدية)
المملكة المغربية

مُلَخّصْ
هل التاريخ علم الماضي؟ ينفر المؤرخون المعاصرون من هذا التعريف. إن تحويل الماضي إلى موضوع علم هو في الأساس فكرة تافهة لأن الأحوال الماضية لا يمكن بأية حالة من الأحوال إحياءها من جديد. ومع ذلك، فالماضي حاضر بآثاره في ذهن المؤرخ. لا بد من مقارنة الماضي بالحاضر والحاضر بالماضي. في هذه الحالة، تكون معرفة الماضي نسبية إذ تستجيب لمتطلبات الوضع القائم هذا ما يؤكده المؤرخ الايطالي "ب. كروتسي" حين يقول "إن التاريخ كلّه تاريخ حاضر". أكثر من ذلك فالتاريخ "عالم ذهني يستنبط في كل لحظة من الآثار القائمة وهو ليس تمام الماضي بل الماضي المحفوظ". إن الماضي التاريخي ليس هو الماضي بل الماضي – الحاضر وأن عمل المؤرخ ليس إحياء الماضي أو بعثه من جديد بل إعادة بنائه باستمرار على قواعد صحيحة ومناهج علمية. يعتبر تاريخ الزمن الراهن أو الحاضر مفهومًا جديدًا ارتبط تأسيسه بتطور الإسطوغرافيا، والبناء التدريجي للتحقيب كآلية للسرد التاريخي أو كمفهوم لتمثل الزمن الماضي، فظل مثله مثل هذه المفاهيم محاطًا بلبس يستلزم معالجة خاصة لتوضيح مجالات استعماله، فالتاريخ الحديث، والمعاصر، والراهن كلها مصطلحات تحيل على حقب تاريخية محددة بهذا القدر أو ذاك من الدقة حسب المدارس التاريخية الأوربية، كما تحيل داخل كل حقبة على شيء آخر له ما يميزه. هذا الشيء الآخر هو الذي يُسائل المؤرخ، ويدفعه للتدقيق، والتوضيح، والبحث.

بيانات الدراسة:
تاريخ استلام البحث: ٠١ أغسطس ٢٠١٥
تاريخ قبـول النشـر: ١٢ نوفمبر ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:
الكتابــة التاريخيــة، الأرشــيفات الرســمية، العلــوم الإنســانية، إنتــاج الماضي، الزمن الراهن

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
منير روكي. "مفهوم الزمن في المدارس التاريخية الحديثة: مدرسة الحوليات نموذجًا".- دورية كان التاريخية.- العدد الثالث والثلاثون؛ سبتمبر ٢٠١٦. ص١٠٦ – ١١٠.

مُقَدِّمَة
كرّست مدرسة الحوليات، بأجيالها الثلاثة، أعمالها للتاريخ الاجتماعي، الذي تصير فيه الطبقات، والجماعات، والأصناف، والبلدان، أبطالَ التاريخ، فقد تحوّل التاريخ، مع فرناند بروديل، إلى تاريخ جغرافي أكثر بنيوية، لا يأخذ بعين الاعتبار إلا القوى ذات التطوّر البطيء، التي تنتمي إلى تاريخ الزمن الطويل، وازدهرت بعده سلسلة من الدراسات، التي استلهمت منه مفهوم الحقب الزمنية الطويلة، وهي دراسات تُعَدُّ، إلى اليوم، من أهمّ الأبحاث الجديدة بالاهتمام في كتابة التاريخ. غَيَّرَ الإيقاع البطيء للتاريخ منظورَ المؤرخين الأكاديميين إلى كثير من الأحداث والقضايا، فالتركيز انصبّ، بالأساس، على دراسة الحقب الطويلة المدى، وهذا ما يُفَسِّرُ النجاحات الباهرة، التي تحقّقت، سواء على مستوى المناهج المتبعة، أم على مستوى المواضيع المطروقة، والتي مثَّلت قطيعة نهائية مع التاريخ الفردي، والتاريخ الكرونولوجي، والتاريخ الرواية.

بدأ هذا التوجّه في البحث يعيش، منذ ثمانينيات القرن العشرين، ارتجاجاتٍ، وانقلابات في المفاهيم، ولاسيما بعد تراجع

موجة البنيوية في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية، فقد تناول الفيلسوف بول ريكور، في كتابه (الزمن والسرد)، وَهْمَ المدرسة التاريخية الفرنسية الحوليات، التي أبعدت الرواية التاريخية، من خلال إعادة قراءة أطروحة "فرناند بروديل" من منظور مختلف؛ إذ برهن أنّ كتابة هذا الأخير تستجيب لكلّ قواعد الحكاية في دراماتيكيتها، التي تنقلنا من مركز عالم إلى آخر خلال القرن السادس عشر، فكيف أصبحت مدرسة الحوليات تنظر إلى الزمن باعتباره من المفاهيم الرئيسة المهيكلة لما أصبح يسمى بـ "التاريخ الجديد"؟

أولاً: الحوليات (الأصول والبرنامج)

١/١- نشأة الحوليات:

ترجع الإرهاصات الأولية التي استهدفت تأصيل الكتابة التاريخية في فرنسا على الأقل إلى القرن التاسع عشر. وقد أعقب هذه المبادرة الأولى مبادرات أخرى لا تخلو من أهمية، حيث ستشكل أحد المنطلقات الأساسية في تجديد البحث التاريخي الفرنسي. ويتعلق الأمر هنا بالمشروع المتزامن وهزيمة ١٨٧٠، إذ تأسست سنة ١٨٧٦ "المجلة التاريخية" التي كانت تقليدًا واعيًا للمجلات العلمية الألمانية. ثم تأسيس "مجلة التركيب التاريخي" التي عبرت عن نفسها في صمت خلال العشرينيات، وبشكل أكثر علانية خلال الثلاثينيات. حيث حملت هذه النزعة الجديدة للتاريخ الفرنسي ومنذ بدايتها، شعار التصدي للوضعانية التي هيمنت منذ بداية القرن العشرين على الإنتاج التاريخي في شكله التقليدي المهلوس بالحدث، والمقيد بالوثيقة بمفهومها الضيق، والتمرد على النظام الجامعي بكل توجهاته المنهجية والمفاهيمية والعملية الذي تقوده السوربون[١]. مقترحة برنامجًا بديلاً يروم فك الارتباط وإحداث قطيعة معرفية مع المشهد الذي ميز الاسطوغرافيا الفرنسية، هادفًا في ذات الوقت إلى خلق نسق متلاحم من العناصر الجديدة والحاسمة في دراسة وكتابة التاريخ، وتركيز الاهتمام على القضايا الجديدة التي تمس التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والديمغرافي والذهني، ثم توسيع حقل المعرفة التاريخية وذلك بالانفتاح على مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية، ومواصلة الاحتكاك بها، وفرز أسلوب جديد في طرح الإشكاليات وتصور جديد لزمن التاريخ.[٢]

وانسجامًا مع منظورها، ارتكز هذا التصور الجديد على معايير نظرية ومنهجية وعملية، إذ مكن البحث التاريخي من الاستفادة من "علوم الإنسان" واستغلال وتوظيف حصيلة العلوم المجاورة وإضافة تكوين أولي حول الحفريات والإحصاء واللغات القديمة... وحافظت على بعض الإسهامات العلمية التي قدمتها الماركسية، وتطبيق طرق التحليل البنيوي خاصةً أعمال (ك. ل. شتراوس). كما جسدت أهدافها في إعطاء بعد تاريخي زمني للمتغيرات الاقتصادية المختلفة التي يمكن حسابها من أجل إدراك الحلقات العميقة والظواهر ذات المدى الطويل نتيجة إخفاقات المشروع الرأسمالي، والقضاء على عقلية التخصص وذلك بالتشجيع على تعدد التخصصات LA PLURIDISCIPLINARITE, والمساهمة في صياغة وبلورة مسح أركيولوجي شامل لتاريخ الإنسانية، خاصةً تاريخ الشعوب غير المكتوب.[٣]

٢/١- مفهوم الزمن عند مدرسة الحوليات:

لقد حاول بعض المؤرخين الذين اهتموا بالزمن التاريخي توطين الزمن الراهن ما بين الماضي، والمستقبل إلا أن التوطين في واقع الأمر صعب للغاية فأين ينتهي الماضي، وأين يبدأ المستقبل؟ هذا السؤال الجديد يدفع الباحث في التاريخ إلى العودة إلى تنظيرات المدارس التاريخية الأوربية حول الزمن الراهن. فقد اعتمدت المدرسة الوضعية في التاريخ كمسافة نقدية البعد الزمني فأوقفت مجال الماضي على بعد خمسين أو ثلاثين سنة من تاريخ كتابة المؤرخ للتاريخ، وبررت ذلك مرة بوضوح الرؤية نظرا للبعد الضروري، ومرة بتوفر المادة المصدرية الرسمية، والعمومية، أي فترات وضع الدول لأرشيفاتها رهن إشارة الباحثين. من البديهي أن التبريرين لا يصمدان أمام النقد المنهجي فالقرب عكس البعد قد يكون أفضل لمراقبة علمية، كما أن قوانين الدول في مجال التوثيق قد تقلص أو تمدد المسافات الزمنية لفتح أرشيفاتها جزئيا أو كليا. قد يبدو هذا الحديث بديهيا إلا أن الأمر معقد في العمق إذ يتعلق ببنية الزمن، فالتطورية الوضعية تمثله كخط مستقيم لذلك تصورت الماضي – الحاضر – المستقبل، كتقطيع عمودي صارم في خط أفقي، وبذلك لم تثر لديها مسألة الحدود أية إشكالية[٤].

أما بالنسبة لمدرسة الحوليات الفرنسية فقد اهتمت بالزمن الراهن في بداياتها، حيث إن أهم تجديد أدخله مؤرخو الحوليات في ميدان الدراسات التاريخية هو الربط بين الماضي، والحاضر.[٥] فقد كان لوسيان فيبر ومارك بلوخ منبهرين بالحاضر، وذلك رغم كونهما مختصين: الأول في القرن ١٦، والثاني في التاريخ الوسيط . كان مارك بلوخ يعتبر امتداد الحقل التاريخي إلى معرفة الزمن الراهن جرأة ضرورية، بدليل أن نسبة المقالات التي تتعلق بالزمن الراهن على صفحات مجلة حوليات التاريخ الاقتصادي، والاجتماعي كانت كبيرة[٦].

كان تأسيس مدرسة الحوليات بداية للقطيعة مع التصور الماضوي الصرف في الخطاب التاريخي، والربط بين الماضي والحاضر من خلال بناء تاريخ يكون مجال بحثه ليس الماضي فقط، ولكن المجتمع المعاصر أيضا، حيث دعا لوسيان فيبر إلى استيحاء القضايا التي يطرحها الزمن الحاضر الذي فيه يعيش ويفكر ويكتب. فمساءلة الماضي من خلال الحاضر بالنسبة إلى الحوليات لها قيمة استكشافية، ذلك أن الحاضر يساعد على البحث عن الماضي، ويسمح بإعطاء قيمة للتاريخ، ويثري معرفة

الماضي. انطلاقًا من هذه القيمة الاستكشافية للحاضر دافعت الحوليات عن تصور ذي نزعة نسبية للخطاب التاريخي، لأن التاريخ المنغمس في عصره، والغارق في مشاكل الحاضر يترتب عنه بناء الزمن التاريخي، والإيضاحات والتقسيمات التي كانت حدودها هي نفسها التي سمحت بالبحوث. فالتاريخ: "يبحث عن الأحداث والوقائع ويعطيها قيمة في الماضي، وعن التوجهات التي تهيئ الزمن الحاضر، وتسمح بفهمه، وتساعد على أن يعاش. فالتاريخ يصنع الماضي الذي يحتاجه"(٧).

فإذا كان على المؤرخ حينئذ أن يعيد كتابة التاريخ حسب تساؤلات الحاضر، فهذا ليس مناقضا بالنسبة للحوليات للخصائص العلمية التي يجب أن يتحلى بها المشروع التاريخي، وإذا كان الحاضر يساهم في فهم أفضل للماضي، فالعلاقة بين الماضي – والحاضر تعمل في الاتجاه المعاكس. يرفض مارك بلوخ التعريف الذي يقلص التاريخ إلى دور علم للماضي، لأن القيمة الاستكشافية للحاضر تكمن في معرفة الماضي. لهذا ذهب بلوخ بعيدًا في هذا الطرح، فهو يتصور مقاربة تكرارية لدى المؤرخ أي مقاربة ارتدادية. ينطلق المؤرخ من الحاضر ليصل عبر الزمن إلى مجتمعات الماضي.(٨)

إن الأهمية التي أعطيت للراهن جلية في مجلة الحوليات التي كانت في هذه الفترة الأولى متجهة أساسا نحو دراسة المجتمع المعاصر، فعندما نتصفح الأعداد الأولى من مجلة الحوليات نلاحظ الاهتمام الكبير الذي كانت تعطيه لقضايا الساعة، مثل: مسألة الأزمة المالية، والفلاحية، والاقتصادية، وقضية البطالة، وظهور النازية، ومسألة التخطيط الاقتصادي في النظام السوفياتي، وكانت هذه المواضيع تشغل نصف حيز المجلة إلى حدود سنة ١٩٣٩(٩) . هذه العناوين تكشف لنا التوجه الواضح لمدرسة الحوليات، من خلال حضور المسائل اليومية، وغياب المواضيع السياسية، والاهتمام بالقضايا العالمية في خطاب الحوليات، وما فتئت رابطة ماضي/حاضر تتأكد باستمرار من قبل مديري المجلة مارك بلوخ ولوسيان فيبر اللذين أكدا على أن هذه الرابطة هي معنى المقاربة التاريخية ذاتها: "لماذا الحديث عن الماضي والحاضر؟ فالواقع واحد أن يضع الناس أصبعهم على هذه الوحدة، سيظل ذلك اليوم كما بالأمس هدف الحوليات فبين الماضي، والحاضر ليس هناك عازل تلك هي أنشودة الحوليات"(١٠) .

كان اهتمام أصحاب الحوليات بالحاضر أو الراهن يختلف نوعيًا عن اهتمام غيرهم به، إذ إن منظري التاريخ الجديد ربطوا ربطا نظريا محكما بين الحاضر والماضي، وهو ربط سعى بصفة خاصة إلى تجاوز الانتقادات التي كان علماء السوسيولوجيا، والأنثروبولوجيا يوجهونها للتاريخ، ووضع حدًا لذلك النقاش العقيم بين دعاة دراسة الماضي، ودعاة دراسة الحاضر، وفي هذا الصدد يقول فيرناند بروديل: "إن الحاضر والماضي يضيء كل منهما الآخر"(١١). وهي فكرة أساسية عند مؤسسي الحوليات الأولين، حيث بلورها مارك بلوخ بوضوح في نظريته عن التاريخ التراجعي القائمة على أن الحاضر يفسر الماضي، وأن الماضي يفسر الحاضر في علاقة جدلية تضع الحاضر والماضي في نفس المستوى من الأهمية. وهي نفس الفكرة التي نجدها في أشكال أخرى لدى أهم أعلام مدرسة الحوليات، مثل: لوسيان فيبر، فيرناند بروديل، فرانسوا فيري، وغيرهم من المؤرخين.(١٢)

يعتبر جاك لوغوف أن اقتحام التاريخ الجديد مجال التاريخ الراهن لا يزال محدودًا، ويشهد على ذلك ضعف حضور الفترة المعاصرة في مجلة الحوليات خلال السنوات الأخيرة، ويؤكد لوغوف أن التاريخ الراهن ينجز بطريقة أحسن مما ينجزه المؤرخون المحترفون، من طرف علماء الاجتماع، وعلماء السياسة، وبعض الصحفيين البارزين فلا يزال اقتحام التاريخ الجديد مجال التاريخ الراهن من المهمات الأكيدة، خاصةً مع عودة الحدث، وهيمنة الإيديولوجيات، مما يشكل حقلا ثريا للمؤرخ الجديد لإنجاز بحوث نموذجية.(١٣)

ثانيًا: الإشكاليات التي يطرحها تاريخ الزمن الراهن

طرح المؤرخون الأوربيون إشكالاً جوهريًا أطر علاقتهم بتاريخ الزمن الراهن وهو: هل هناك إمكانية أو استحالة لإدماج الزمن الراهن أو التاريخ المباشر في حقل تخصص المؤرخين؟ والتعامل معهما بنفس طريقة تعاملهم مع الحقب التاريخية الأخرى. فالتاريخ الراهن يطرح إشكالات معرفية، ومنهجية أساسية يمكن تحديدها في النقط التالية:

٢/١- غياب مسافة كافية للتعامل مع الوقائع والأحداث التي تشكل التاريخ الراهن:

فخط التاريخ الراهن يتكون أساسًا، وفي الوقت نفسه من القرب الزمني لعملية البحث في الموضوع المتطرق إليه، ومن القرب الميداني بين الباحث، والحدث موضوع الدراسة، فالعملية التاريخية التي تتم مقاربتها هي عملية قريبة، وسريعة الإنجاز من طرف فاعل أو شاهد قريب من الحدث.(١٤)

٢/٢- مشكل الأرشيفات الرسمية:

يطرح تاريخ الزمن الراهن مسألة استحالة وصول الباحث إلى الأرشيف الرسمي المحكوم في الكثير من الأحيان بقوانين تفرض تأجيل فتحه لعدة سنوات (بين ٢٠ و٣٠ سنة) أو حتى لعقود (٥٠-١٥٠ سنة)، نظرًا لاحتوائها على وثائق سرية(١٥)، كما هو الشأن حاليًا في فرنسا بالنسبة للوثائق السرية الخاصة بأسلحة الدمار الشامل، والملفات الشخصية لرجال المخابرات، والجواسيس الشيء الذي يطرح العلاقة بين المؤرخ، والأرشيف، وإمكانية إطلاع الباحثين على مستندات مختلف المؤسسات الإدارية والحزبية والإعلامية أيضًا.

٢/٣- مصادر تاريخ الزمن الراهن:

استعان المؤرخون في ظل عدم توفر الوثائق بأدوات خاصة مستقاة من علوم قريبة، ولجؤوا إلى القيام بأبحاث ميدانية، وإجراء المقابلات، واستقصاء الشهادات للاكتشاف والاستكشاف. فقد بات الباحث في التاريخ الراهن يواجه تحديات كبيرة إزاء تنوع المصادر، وكثرة مواضيعها التي تجاوزت الحدود الضيقة لتخصصه لتشمل علومًا أخرى كالاقتصاد، والقانون، والأنثروبولوجيا، وكلما تعمق البحث، وتقاطعت محاوره كلما ازدادت الرغبة في الاستعانة بشهادات مختلفة ومتنوعة. لذا لا يمكن تجاهل وجود ودور الفاعلين، والأحياء والشهود.[١٦] لكن المثير للجدل في أوساط المؤرخين هو الخوف من أن تسقط كتابات المؤرخ في قبضة الشاهد، وتستسلم لإغراءات ذاته، وذاكرته فتنقصها الموضوعية ويعوزها الحياد، مما يحتم على الباحث التسلح بمزيد من الحذر المنهجي والمعرفي. إذا كانت الشهادة مصدرًا غير مكتمل ناقص لما يعتريه من تآكل، وغموض واضطراب في السرد بالنسبة للمؤرخ، فإن مهمة هذا الأخير هي كيفية الاستفادة من الشهادة أو التاريخ الشفوي، حيث يقول مارك بلوخ: "ليس هناك شهادة جيدة وأخرى رديئة، وما يهم المؤرخ من هذه الشهادات كلها هو بناء الواقع".[١٧] لقد أعاد التاريخ الراهن الاعتبار للشاهد، وحرر الباحث في التاريخ من عقدة التعامل مع الشهادة، بحيث رفع التطور التكنولوجي، وتقدم وسائط الإعلام الحرج عنه في توظيف الصورة، والذاكرة، وأصبح من المقبول لدى الهيئات العلمية الحريصة على احترام المنهجية في الكتابة التاريخية الاشتغال بأدوات ومصادر لا تحمل صفة "رسمية"، خاصةً المصادر الايكنوغرافية، والوسائل السمعية البصرية التي من شأنها تقديم معلومات متنوعة ربما لازالت منشورة، والتي ينبغي التطرق لقراءتها وتأويلها.[١٨]

٢/٤- التداخل بين التاريخ والعلوم الإنسانية الأخرى في البحث في تاريخ الزمن الراهن:

تبدو الحقبة الراهنة كأنها مجال مفتوح أساسًا في وجه الصحفيين، والباحثين المختصين في العلوم السياسية أكثر من انفتاحها أمام المؤرخين. فالصحافي مثلاً يفتقر إلى الوثائق، والقدرة على التحليل التاريخي، والقيام بالمقارنات، ورغم ذلك يكتب في التاريخ الراهن بدعوى أن الصحافة هي تاريخ اللحظة كما وصفها ألبير كامو[١٩]. لكن الفارق بينه وبين المؤرخ هو فارق في الكم، والكيف أيضًا لأن المؤرخ أكثر جدية، وأكثر حصافة بتعداد عوائق الماضي، والمعوقات الثقافية، والاجتماعية، والسياقات السياسية لتحليل الحدث التاريخي في الزمن الراهن. فإذا كان الصحافي يبحث عن الإثارة في الحدث، والباحث في السياسة يقدم تحليلاته السياسية على حدث معين، فإن المؤرخ هو أكثر الباحثين تأهيلاً للاشتغال في الزمن الراهن لتوفره على المعارف، والأدوات المنهجية لدراسته، وتحليل الحدث في الحقبة الراهنة.

٢/٥- الموضوعية:

يعتبر جان لاكوتور أن الموضوعية هي الخطر الواضح والمتعدد والملاحظ في كثير من الحالات، ذلك أن الموضوعية متربصة دائمًا بالباحث في التاريخ الراهن، ومرهونة بالذاتية نظرًا لارتباط الباحث بعصره، وبثقافته، وبإطار إبداعه، الشيء الذي يعبر حتمًا عن جملة من التأثيرات التي توجه بحثه، والتأويلات التي يقدمها،[٢٠] لأن الحقبة الراهنة دائما مليئة بالأحداث، وهي انعكاس للعلاقة بين الفرد، ومجتمعه السياسي والمدني. لكن رغم كل هذه الإشكاليات التي يطرحها تاريخ الزمن الراهن في أوربا، فإن النقاش الإشكالي الذي يجب أن يطرح داخل المدارس التاريخية الأوربية هو كالتالي: إلى أي حد تمثل المؤرخون الأوربيون هذه الإشكاليات؟ وكيف طرحت بشكل عملي في الأبحاث التاريخية حول الزمن الراهن في أوربا؟ وهل يمكن الحديث عن خصوصيات محلية تميز بها مفهوم الزمن الراهن نظريًا وميدانيًا؟ فالإشكال الأساسي الذي سيظل يواجه التاريخ الراهن هو كيفية الانتقال من الدراسات النظرية إلى الدراسات التطبيقية لفهم التحولات التي عرفتها المجتمعات الأوربية على مستوى بنياتها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية اعتمادًا على تنظيرات المدارس التاريخية الأوربية، وكذا التجديد الذي عرفته على مستوى أدواتها المنهجية تحت تأثير تطور العلوم الاجتماعية، وانفتاح حقل التاريخ على إشكاليات، وقضايا، ومناهج هذه العلوم على اعتبار أن الاهتمام بالتاريخ الراهن في أوربا هو انعكاس لجدلية تطور الإنسان والمجتمع، ومدى حضور الزمن في صيرورة دراسة الظاهرة الإنسانية والتاريخية.

خاتمة

عند وقوفنا على بعض النماذج من الكتابات التاريخية في الزمن (الحاضر/ الراهن) نستشف أن "المؤرخ قد يحيد بالتاريخ عن وظيفته المعرفية، ليلعب وظيفة الذاكرة الرامية إلى إضفاء الشرعية على برنامج معين"، ويبرز ذلك بوضوح مثلاً من خلال محاولة المؤرخ حفظ وتوثيق الذاكرة الجماعية، فاعتبارًا للدور الأساسي الذي أصبحت تلعبه في الوقت الحاضر في بناء – وإعادة بناء– القوميات الوطنية بعد نهاية الحرب الباردة وارتفاع أصوات الأقليات الاثنية والدينية واللغوية في أقطار مختلفة من المعمور، نجد البعض يطالب من المؤرخ "أن يمثل تحت قبة محكمة التاريخ في زي المحامي أو المدعي العام أو القاضي"، غير أنه يتشبث بدوره كخبير يقدم تقريره -القابل للطعن والاستئناف- بعد الاستماع لمختلف الشهادات وبعد استنطاق شتى المصادر والمراجع والوثائق التي توجد بها المكتبات ودور المحفوظات والمستندات.

وإذا أقررنا باستحالة إلغاء الذاتية من الكتابة التاريخية، إذ أن كل محاولة لإضفاء الصبغة الموضوعية المطلقة على هذه الكتابة لن يؤدي إلا إلى إفقارها، وهي خلاصة يمكن أن نستشفها من محاولات رواد المدرسة الوضعية الذين حاولوا أن يجعلوا من التاريخ عبارة عن أحداث تسجل بنزاهة وموضوعية مطلقتين وخشية من تسلل الحاضر إلى العمل التاريخي -الشيء الذي ترجمه شخصية المؤرخ- حيث اهتم الوضعيون بكيفية تقليص دور هذا الأخير إلى درجة يكاد ينعدم فيها ذلك الحضور، وجعلوا المؤرخ مجرد أداة سلبية والة تسجيل يقتصر دورها على إعادة إنتاج الماضي وتصويره ميكانيكيًا.

الهَوامِشُ:

(1) François Dosse, **L'histoire en miettes, des «Annales» à la «Nouvelle Histoire»**, Paris, La Découverte, 198٧,p.213

(2) Febvre (L.) **; La Terre et l'évolution humaine: Introduction géographique à l'histoire**, Paris, A. Michel, 1922 ,p.69

(3) Hervé Coutau-Bégarie, **Le phénomène nouvelle histoire: grandeur et décadence de l'école des Annales**, Économica, 1989,p42

(٤) المصطفى بوعزيز: الحركة الوطنية، **الانتلجنسيا، الحركات الاجتماعية في مغرب القرن العشرين، مجلة أمل**: الأحزاب والتنظيمات السياسية المغربية، العدد: (٣٤)، السنة (١٦)، ٢٠٠٩، ص ١٥٧.

(٥) محمد العيادي: **المدارس التاريخية الحديثة ومسألة الحدود بين العلوم الاجتماعية**، مجلة أمل: بعض القضايا المنهجية لعلوم التاريخ، العدد (١٥)، السنة (٥)، ١٩٩٨، ص ٤٠.

(٦) جاك لوغوف: **التاريخ الجديد**، ترجمة وتقديم: محمد الطاهر المنصوري، ط١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، يوليوز ٢٠٠٧، ص ١٢٢-١٢٣.

(٧) فرانسوا دوس: **التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد**، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، ط ١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، يناير ٢٠٠٩، ص ١٠٤ – ١٠٥.

(٨) المرجع نفسه، ص ١٠٥.

(٩) محمد العيادي: **المدارس التاريخية الحديثة ومسألة الحدود بين العلوم الاجتماعية**... م .س، ص ٤٠.

(١٠) فرانسوا دوس: **التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجدي**د...م.س، ص ١٠٧- ١٠٨.

(١١) محمد العيادي: **المدارس التاريخية الحديثة ومسألة الحدود بين العلوم الاجتماعية**...م.س، ص ٤١

(١٢) المرجع نفسه، ن.ص.

(١٣) جاك لوغوف: **التاريخ الجديد**...م.س، ص ١٢٣-١٢٤.

(١٤) جان لاكوتور: **التاريخ الآني**، **التاريخ الجديد**، إشراف: جاك لوغوف، ترجمة وتقديم: محمد الطاهر المنصوري، ط ١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، يوليوز ٢٠٠٧، ص ٣٦٨-٣٦٩.

(15) Vermeren Pierre : Histoire récente, histoire immédiate: l'historiographie française et le cas du Maghreb, **"Temps présent et fonctions de l'historien"**, édité par: Mohamed Kenbib, Université Mohammed V, Faculté des lettres et des sciences humaines de Rabat, Série colloques et séminaires, n° 158, Rabat, 2009, P- 123.

(١٦) عبد الحميد الصنهاجي: **المؤرخ والشاهد: الكوم المغاربة في حرب الهند الصينية**/ ١٩٥٤، **التاريخ الحاضر ومهام المؤرخ**، تنسيق محمد كنبيب، ط١، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ١٥٨، ٢٠٠٩، ص٦٩-٧٠.

(١٧) المرجع نفسه، ص٧١.

(18) fayçal Cherif : L'écriture de l'histoire et le rôle de l'historien à la croisée des sources iconographiques et audiovisuelles, op.cit, P- 14١.

(١٩) جان لاكوتور: **التاريخ الآني**، **التاريخ الجديد**، إشراف: جاك لوغوف...م.س، ص٣٧٢.

(٢٠) المرجع نفسه، ص٣٩١-٣٩٢.